قصص الأنبياء

إبراهيم عليه السلام

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

إبراهيم (عليه السلام)

نَشَأَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) بالعِرَاقِ وَسطَ قَوْمِهِ وَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، وَشَبَّ إبْرَاهِيمُ عَلَى بُغْضِ هَذِه الأَصْنَامِ وَكُرْهِهَا؛ لأَنَّ اللهَ قَدْ آتَاهُ عَقْلاً رَاجِحًا.

كَبِرَ إبْرَاهِيمُ وَأَصْبَحَ شَابًّا، وَكَبُرَ مَعَهُ حُبُّ اللهِ، وَاخْتَارَهُ اللهُ نَبِيًّا وَرَسُولاً إلَى قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ إلَى اللهِ وَحْدَه.

أَطَاعَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) أَمْرَ اللهِ، وَكَانَ أَوَّلُ دَعْوَتِهِ لأَبِيهِ، فَدَعَاهُ بِكُلِّ أَدَبٍ وَلُطْفٍ وَقَالَ لَهُ: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ يَا أَبِي؟

فُوجِئَ الأَبُ بِهَذَا السُّؤَالِ مِن ابْنِهِ إبْرَاهِيمَ ، وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسُبُّ الآلِهَةَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا الكَلامِ الغَرِيبِ؟ أَكْمَلَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) قَائِلاً: يَا أَبِي، إنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَانِي عِلْمًا؛ فَاقْبَلْ مِنِّي أُرْشِدْكَ إلَى الحَقِّ، وَلَا تَتَّبِعِ الشَّيْطَانَ.

غَضِبَ الأَبُ مِنْ كَلِمَاتِ إبْرَاهِيمَ عَن آلِهَتِهُ، فَقَالَ لَهُ: إنْ لَمْ تَكُفّ عَنْ هَذَا فَابْتَعِدْ عَنِّي وَلَا تُكَلِّمْنِي. وَهَكَذَا كَفَرَ وَالِدُ إبْرَاهِيمَ (عليه السلام) بِاللهِ.

بَعْدَ ذَلِكَ اتَّجَهَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) لِيَدْعُوَ قَوْمَهُ إلَى عِبَادَةِ اللهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَلَكِنَّهُم ظَلُّوا عَلَى كُفْرِهِم وَعِبَادَتِهِم لِغَيْرِ اللهِ، لِيُعْلِنَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) بَرَاءَتَهُ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ.

وَاصَلَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) دَعْوَتَهُ إلَى اللهِ، وَذَهَبَ إلَى قَوْمِهِ فِي مَعْبَدِهِم، وَوَجَدَ أَبَاهُ مَعَهُم، يَسْجُدُونَ لِلأَصْنَامِ، فَسَأَلَهُم إبْرَاهِيمَ (عليه السلام) : مَاذَا تَعْبُدُونَ؟ أَجَابُوهُ: أَصْنَامَنَا، وَسَنَبقَى لَهَا مُخْلِصِينَ.

نَظَر إبْرَاهِيمُ إلَيْهِم فِي أَسَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبَتْ عُقُولَكُم حَتَّى تَعْبُدُوا هَذِهِ الحِجَارَةَ؟

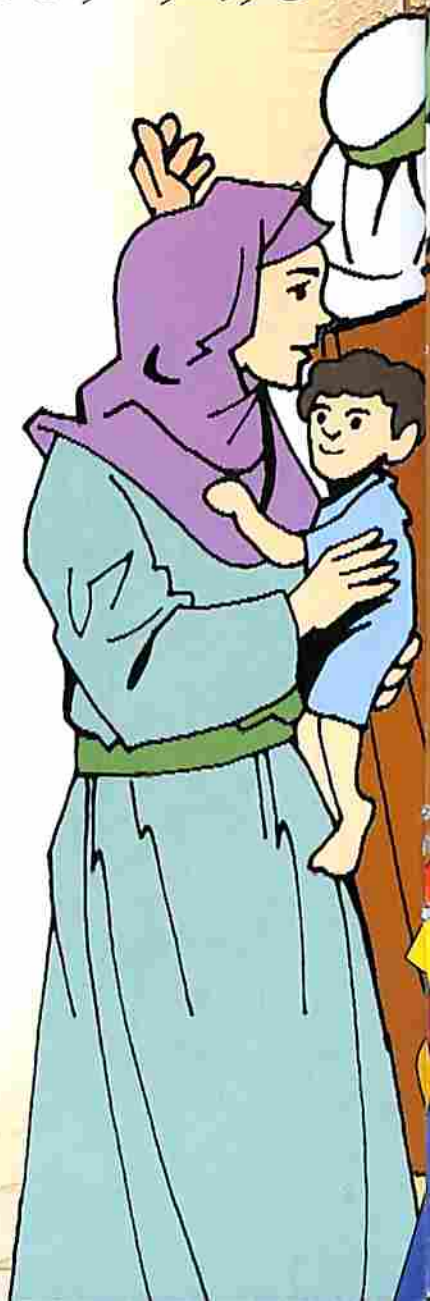

إنَّهَا لَا تَمْلُكُ لَكُمُ النَّفْعَ وَلاَ الضُّرَّ حَتَّى تَسْتَحِقَّ العِبَادَةَ.

لَمْ يَسْتَمِعْ أَحَدٌ إِلَى دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، بَلْ سَخِرُوا مِنْهُ وَكَذَّبُوهُ؛ فَخَرَجَ مِنَ المَعْبَدِ وَتَرَكَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ لَيُثْبِتَنَّ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ لَيْسَتْ إِلَّا حِجَارَةً.

وَذَاتَ يَوْمٍ، كَانَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ خَارِجَ المَدِينَةِ فَانْتَهَزَهَا فُرْصَةً ، وَذَهَبَ إِلَى المَعْبَدِ، وَأَخَذَ فَأْسًا حَادًّا وَأَخَذَ يُحَطِّمُ الأَصْنَامَ، وَيَجْعَلُهَا قِطَعًا صَغِيرَةً إِلَّا أَكْبَرَ الأَصْنَامِ، تَرَكَهُ وَعَلَّقَ الفَأْسَ عَلَى كَتِفِهِ ثُمَّ غَادَرَ المَعْبَدَ.

وَعِنْدَمَا عَادَ القَوْمُ إِلَى المَدِينَةِ كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلُوهُ هُوَ ذَهَابُهُم إِلَى المَعْبَدِ لِيَسْجُدُوا

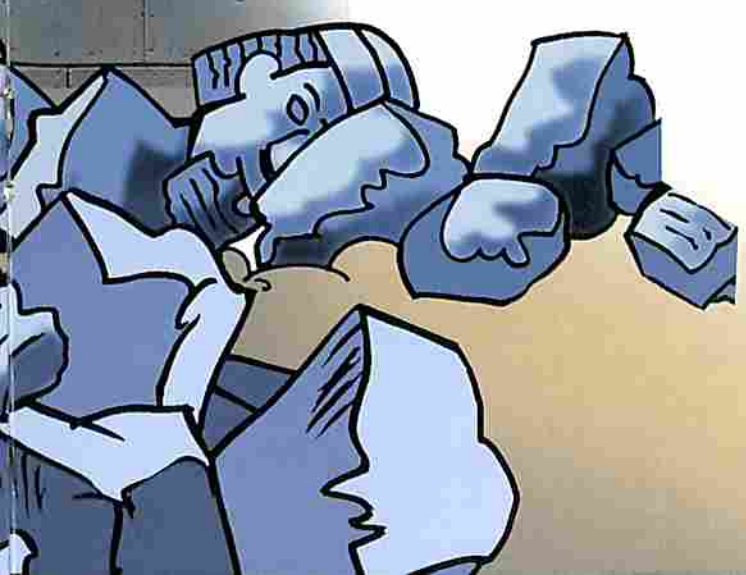

لأَصْنَامِهِم، وَمَا أَنْ دَخَلُوا المَعْبَدَ حَتَّى صَرَخُوا جَمِيعًا مِنْ المُفَاجَأَةِ وَتَسَاءَلُوا قَائِلِين: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا؟ وَعَلَى الفَوْرِ تَذَكَّرُوا إبْرَاهِيمَ فَقَالُوا: لَا بُدَّ أَنَّهُ إبْرَاهِيمُ.

وَذَهَب بَعْضُهُم لِلقَبْضِ عَلَيهِ وَإحْضَارِهِ، لِيَبْدَأَ التَّحْقِيقُ مَعَهُ بِسُؤَالٍ: هَلْ أَنْتَ الَّذِي حَطَّمْتَ آلِهَتَنَا؟

نَظَرَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) إلَيْهِم سَاخِرًا وقال: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ} (الأنبياء : ٦٣).

عَجِبَ القَوْمُ مِنْ هَذَا الرَّدِّ الَّذِي لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَهُ، وَسَأَلُوا إبْرَاهِيمَ: كَيْفَ تَرِيدُنَا أَنْ نَسْأَلَهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَنْطِقُ؟!

ظَنَّ إبْرَاهِيمُ أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ عَادَ إلَيْهِم رُشْدُهُم، فَقَالَ لَهُم : {أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء : ٦٦ - ٦٧).

وَهُنَا يَثُورُ القَوْمُ وَيُطَالِبُونَ بِإحْرَاقِ إبْرَاهِيمَ الَّذِي عَابَ الآلِهَةَ، وَبَدَأَ الاسْتِعْدَادُ لإحْرَاقِ إبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ، فَحَبَسُوهُ وَأَخَذُوا يُعِدُّونَ الحَطَبَ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَ المَحْرَقَةِ لِرُؤْيَةِ إبْرَاهِيمَ (عليه السلام) وَهُوَ يَحْتَرِقُ ، ثُمَّ أَلْقَوا بِهِ فِي النَّارِ ، وَأَمَرَ اللهُ النَّارَ، {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إبْرَاهِيمَ} (الأنبياء : ٦٩) ، وَأَطَاعَتِ النَّارُ أَمْرَ رَبِّهَا، فَلَمْ تُصِبْ إبْرَاهِيمَ بِأَذًى.

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي
بَرْدًا وَ سَلَامًا
عَلَى إِبْرَهِيمَ

خَرَجَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) مِنَ النَّارِ سَالِمًا وَسْطَ ذُهُولِ الجَمِيعِ وَدَهْشَتِهِم، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَتَّعِظِ القَوْمُ بِهَذِهِ المُعْجِزَةِ العَظِيمَةِ، بَلْ ظَلُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ ، وَاسْتَدْعَاهُ مَلِكُ البِلَادِ «النُّمْرُودُ» الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ إِلَهٌ، اسْتَدْعَاهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ رَبِّهِ الَّذِي يَدْعُو لِعِبَادَتِهِ، وَسَأَلَ المَلِكُ إبْرَاهِيمَ (عليه السلام) قَائِلاً: مَنْ هُوَ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟

أَجَابَ إبْرَاهِيمُ (عليه السلام) بِكُلِّ ثِقَةٍ : رَبِّي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

نَظَرَ المَلِكُ إلَى حَاشِيَتِهِ مِنْ حَوْلِهِ ثُمَّ انْفَجَرَ ضَاحِكًا، وَشَارَكَتْهُ حَاشِيَتُهُ فِي الضَّحِكِ ، ثُمَّ قَالَ النَّمْرُودُ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ. وَأَكْمَلَ قَائِلاً: أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحْضِرَ شَخْصَيْنِ قَدْ حُكِمَا عَلَيْهِمَا بِالإِعْدَامِ ، فَأَعْفُو عَنِ الأَوَّلِ فَأَكُونُ قَدْ أَحْيَيْتُهُ، وَأَقْتُلُ الآخَرَ فَأَكُونُ قَدْ أَمَتُّه.

لَمْ يَشَأْ إبْرَاهِيمُ أَنْ يُجَادِلَ المَلِكَ ، بَلْ فَاجَأَهُ بِهَذَا التَّحَدِّي : رَبِّي يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ. عِنْدَ ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفِ المَلِكُ كَيْفَ يُجِيبُ.

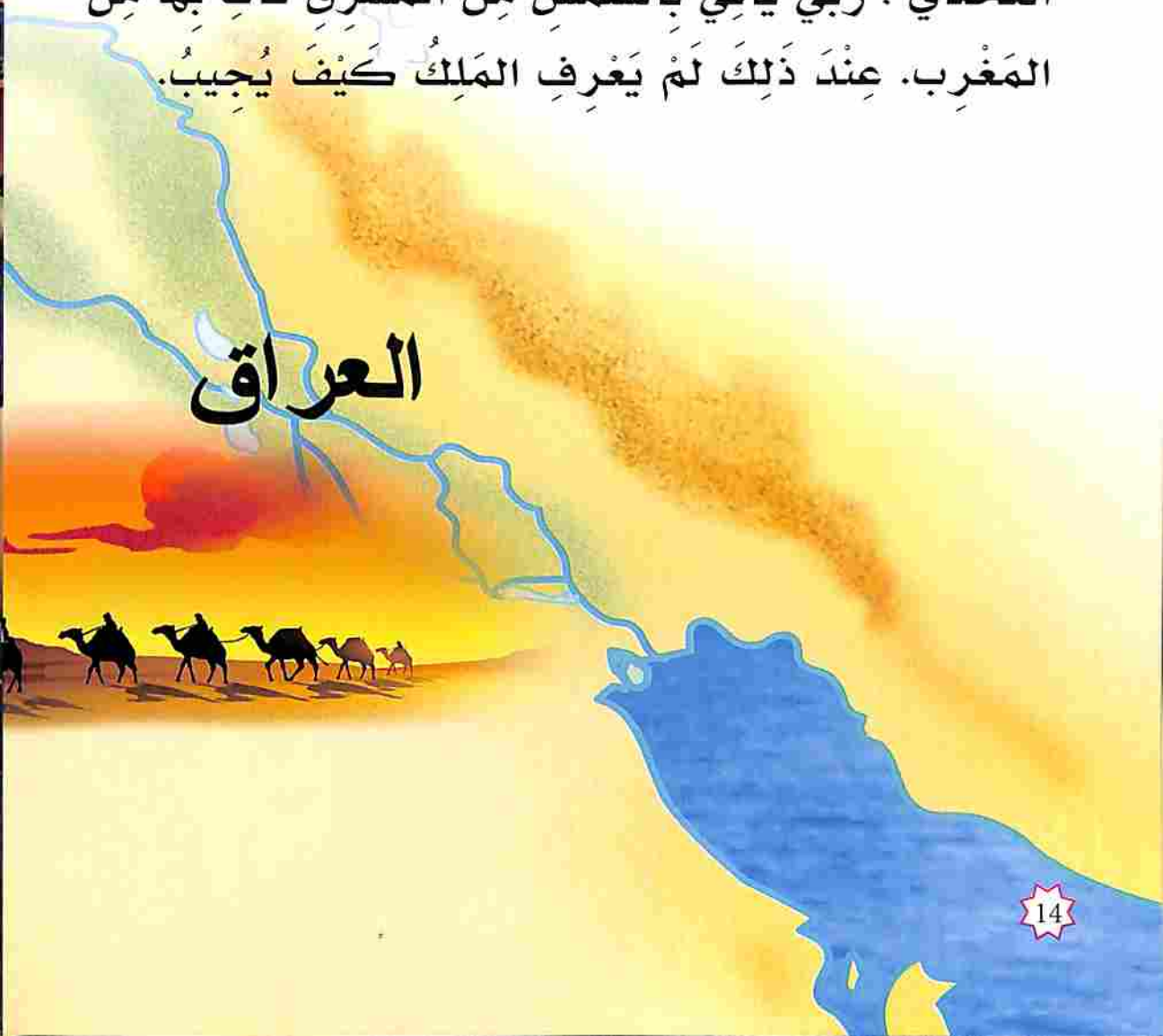

وَقَرَّرَ إبْرَاهِيم (عليه السلام) أَنْ يَهْجُرَ قَوْمَهُ، بَعْدَ أَنْ رَأَى اسْتِمْرَارَهُم عَلَى الكُفْرِ، فَهَاجَرَ مُصْطَحِبًا مَعَهُ شَخْصَينِ فَقَط آمَنَا بِهِ هُمَا «سَارَّة» زَوْجَتُهُ وَابْنَةُ عَمِّهِ، وَ«لُوط» ابْنُ أَخِيهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ نَبِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَسَارَ إبْرَاهِيمُ وَسَارَّةُ حَتَّى وَصَلَا إِلَى مِصْرَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُمَا لُوطٌ (عليه السلام) ذَاهِبًا إِلَى بَلْدَةِ «سَدُوم» الفَاسِدَةِ لِيَدْعُوَهَا إِلَى الله.

وَبعد فَتْرَةٍ قَضَاهَا إبْرَاهِيمُ وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ فِي مِصْرَ عَادَا مِنْ هُنَاكَ وَمَعَهُمَا «هَاجَرُ» الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِمَا مَلِكُ مِصْرَ، ثُمَّ اسْتَقَرُّوا جَمِيعًا فِي فَلَسْطِين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «يَلْقَى إبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إبْرَاهِيم: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إبْرَاهِيم: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ» رواه البخاري.

المركز العربي الحديث
103شارع الامام علي ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com